بـــابُ
مَواعِظ الصَّحَابة

مواعظ النبي ﷺ

موعظة عظيمة له عليه السلام لأبي ذرّ الغفاري

أخرج ابن حبان في صحيحه ـ واللفظ له، والحاكم ـ وصحَّحه ـ عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، ما كانت صحف إبراهيم؟ قال: «كانَتْ أمثالاً كُلُّها: أيُّها الملكُ المسلَّطُ المبتَلى المغرورُ، إنّي لم أبْعَثْكَ لِتَجْمَعَ الدُّنيا بعضَها على بَعْضٍ؛ ولكني بَعَثْتُكَ لِتَرُدَّ عَنّي دَعْوَةَ المظلومِ. فإنّي لا أرُدُّها وإنْ كانت من كافرٍ. وعلى العاقلِ ما لم يكُنْ مَغْلُوباً على عَقْلِهِ أنْ يكونَ له ساعاتٌ: فساعَةٌ يناجي فيها رَبَّهُ، وساعةٌ يحاسِبُ فيها نَفْسَهُ، وساعةٌ يتَفَكَّرُ فيها في صُنْعِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وساعةٌ يخلو فيها لحاجَتِهِ مِنَ المطعمِ وَالمشربِ. وعلى العاقلِ أنْ لا يكونَ ظاعناً إلا لثلاثٍ: تَزَوُّدٍ لمعادٍ، أوْ مَرَمَّةٍ[1] لمعاشٍ. أوْ لَذَّةٍ في غَيْرِ مُحَرَّمٍ. وعلى العاقلِ أنْ يكونَ بَصيراً بزمانِهِ، مُقْبِلاً على شأنِهِ، حافظاً لِلِسَانِهِ، وَمَنْ حَسَبَ كَلامَهُ مِنْ عَمَلِهِ قَلَّ كلامُهُ إلاّ فيما يَعْنيهِ».

قلت: يا رسول الله، فما كانت صحف موسى عليه السلام؟ قال: «كانت عِبَراً كلُّها، عجبتُ لِمَنْ أيْقَنَ بالموتِ ثمَّ هُوَ يفْرَحُ، عَجِبْتُ لِمَنْ أيْقَنَ بالنّارِ ثم هُوَ يضْحَكُ، عَجِبْتُ لمن أيْقَنَ بِالقَدَرِ ثم هُوَ يَنْصَبُ[2]، عَجِبْتُ لمن رأى الدّنيا وَتَقَلُّبَها بأهْلِها ثم اطمأنَّ إليها، عجبتُ لمن أيْقَنَ بالحسابِ غداً ثمَّ لا يَعْمَلُ» قلتُ: يا رسولَ الله، أوصني، قال: أُوصيكَ بِتَقْوَى اللهِ فَإنَّها رأسُ الأمْرِ كُلِّهِ». قلت: يا رسول الله، زِدني، قال: «عَلَيْكَ بتلاوةِ القرآنِ وَذِكْرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فَإنَّهُ نُورٌ لَكَ في الأرْضِ وَذُخْرٌ لَكَ في السَّماءِ». قلت: يا رسول الله، زِدني، قال: «إيّاكَ وَكَثْرَةَ الضِّحْكِ فَإنَّهُ يُمِيتُ القَلْبَ، وَيَذْهَبُ بِنُورِ الوَجْهِ». قلت: يا رسول

(١) «المرمة»: إصلاح ما فسد، ولمّ ما تفرّق. «النهاية» (٢/ ٢٦٨).

(٢) «ينصب»: يتعب.

الله، زدني قال: «عليكَ بالجِهادِ فَإنَّهُ رَهْبَانِيَّةُ أُمَّتِي»[1] قلت: يا رسول الله، زدني، قال: «عليكَ بطول الصمت فإنه مطردة للشيطان، وعون لك على أمر دينك. قلت: يا رسول الله زِدْني، قال: «أَحِبَّ المساكينَ وَجالِسْهُمْ». قلت: يا رسول الله، زدني، قال: «أُنظُرْ إلى مَنْ هُوَ تَحْتَكَ وَلاَ تَنْظُرْ إلى مَنْ هو فَوْقَكَ، فَإنَّهُ أَجْدَرُ أَنْ لاَ تزْدَري[2] نِعْمَةَ اللَّهِ عِنْدَكَ». قلت: يا رسول الله، زِدْني، قال: «قُل الحَقَّ وَإنْ كانَ مُرّاً»، قلت: يا رسول الله، زِدني، قال: «لِيَرُدَّكَ عَنِ النَّاسِ ما تَعْلَمُهُ مِنْ نَفْسِكَ، وَلا تَجِدْ عَلَيْهِمْ فِيما تأتي، وَكَفَى بِكَ عَيباً أَنْ تَعْرِفَ مِنَ النَّاسِ ما تَجْهَلُهُ مِنْ نَفْسِكَ، وتجدَ عليهم فيما تأتي». ثم ضَرَبَ بِيَدِهِ على صَدْرِي فقال: «يا أبا ذَرّ، لاَ عَقْلَ كَالتَّدْبِيرِ، وَلاَ وَرَعَ كالكَفِّ، وَلا حَسَبَ كَحُسْنِ الخُلُقِ». قال المنذري في الترغيب (٣/ ٤٧٣): انفرد به إبراهيم بن هشام بن يحيى الغسّانيّ عن أبيه، وهو حديث طويل في أوله ذكر الأنبياء عليهم السلام، ذكرت منه هذه القطعة لما فيها من الحِكَم العظيمة والمواعظ الجسيمة ـ انتهى. وقد أخرج الحديث بتمامه أبو نعيم في الحلية (١/ ١٦٦) من طريق إبراهيم بن هشام. وأخرجه أيضاً بتمامه الحسن بن سفيان وابن عساكر، كما الكنز (٨/ ٢٠١).

أتدرون ما مثل أحدكم ومثل أهله وماله وعمله

أخرج الرامهرمزي في الأمثال عن عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسولُ الله ﷺ يوماً لأصحابه: «أَتَدْرُونَ مَا مَثَلُ أَحَدِكُمْ وَمَثَلُ أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَعَمَلِهِ؟» فقالوا: الله ورسوله أعلم، فقال: «إنَّمَا مَثَلُ أَحَدِكُمْ وَمَثَلُ مَالِهِ وَأَهلِهِ وَوَلَدِهِ وَعَمَلِهِ كَمَثَلِ رَجُلٍ له ثلاثة إخوةٍ فلما حَضَرَتْهُ الوفاةُ دعا بعض إخوته فقال: إنه قد نزل بي من الأمرِ ما ترى فما لي عِنْدَكَ وما لي لَدَيْكَ؟ فقال: لكَ عِنْدِي أَنْ أُمَرِّضَكَ ولا أَنْ أَمْلَكَ وَأَنْ أَقُومَ بِشَأْنِكَ، فَإذا متَّ غَسلتكَ وَكَفَّنْتُكَ وَحَمَلْتُكَ مَعَ الحامِلِينَ، أَحْمِلُكَ طَوْراً وَأُمِيطُ عَنْكَ طَوْراً، فَإذا رجعتُ أثنيتُ عليكَ بخير عند مَنْ يَسْأَلني عَنْكَ. هذا أخوه الذي هو أهلُه فما ترونه؟» قالوا: لا تسمع طائلاً[3] يا رسول الله. «ثم يقول لأخيه الآخر: أترى ما قد نزل بي فما لي لديكَ وما لي عندك؟ فيقولُ: ليسَ لك عندي غناءٌ إلا وأنتَ في الأحياء، فإذا متَّ ذُهِبَ بِكَ في مَذْهَبٍ وَذُهِبَ بي

---

(١) يريد أن الرهبان وإن تركوا الدنيا وزهدوا فيها وتخلّوا عنها، فلا ترك ولا زهد ولا تخلّي أكثر من بذل النفس في سبيل الله، وكما أنه ليس عند النصارى عمل أفضل من التّرهُّب، ففي الإسلام لا عمل أفضل من الجهاد، ولهذا قال عليه السلام: «رَوْحة سَنام الإسلام الجهادُ في سبيل الله». «النهاية» (٢/ ٢٨١).

(٢) «الازدراء»: الاحتقار والانتقاص والعيب «النهاية» (٢/ ٣٠٢).

(٣) لا تسمع طائلاً: لا تسمع شيئاً فيه منفعة.

في مَذْهَبٍ، هذا أخوهُ الذي هو مالُهُ كيفَ تَرَوْنَهُ؟»، قالوا: لا نسمع طائلاً يا رسول الله. «ثم يقول لأخيه الآخر: أترى ما قد نزل بي وما ردّ عليّ أهلي ومالي فما لي عندك وما لي لديك؟ فيقول: أنا صاحِبُكَ في لحدك، وأنيسُكَ في وَحْشَتِكَ، وأقعدُ يوم الوزن في ميزانِكَ؛ فأثقل ميزانَكَ. هذا أخوه الذي هو عَمَلُهُ كيفَ ترونه؟» قالوا: خير أخ وخير صاحب يا رسول الله، قال: فإنَّ الأمر هكذا. قالت عائشة: فقام إليه عبد الله بن كُرْز فقال: يا رسول الله، أتأذن لي أن أقول على هذا أبياتاً؟ فقال: «نعم» فذهب فما باتَ إلا ليلة حتى عاد إلى رسول الله ﷺ فوقف بين يديه واجتمع الناس وأنشأ يقول:

فإني وأهلي والذي قَدْمَتْ يدي ... كداعٍ إليه صاحبَه ثُمَّ قائل
لإخوته إذ هم ثلاثة إخوة ... أعينوا على أمر بيَ اليوم نازلِ
فراق طويلٌ غير مشتق به ... فماذا لديكم في الذي هو غائل[1]
فقال امرؤ منهم أنا الصاحب الذي ... أطيعك فيما شئت قبل النزايل
فأمّا إذا جدّ الفراق فإنني ... لما بيننا من خُلّة غيرُ واصل
فخذ ما أردت الآن مني فإنني ... سيُسلك بي في مَهْيَل من مهايل
فإن تبقني لا تبقِ فاستنفدنّني ... وعجّل صلاحاً قبل حتفِ مُعاجلِ
وقال امرؤ قد كنت جداً أحبه ... وأوثره من بينهم في التفاضل
غَنائيَ أني جاهد لك ناصح ... إذا جدّ جِدّ الكرب غيرُ مقاتل
ولكنني بالٍ عليكَ وَمُعْوِلٌ[2] ... ومثنٍ بخيرٍ عند مَنْ هو سائلي
ومتبعِ الماشين أمشي مشيّعاً ... أعين برفق عقبةَ كلّ حاملِ
إلى بيت مثواك الذي أنت مُدخَل ... أُرجّع مقروناً بما هو شاغلي
كأن لم يكن بيني وبينك خلة ... ولا حسن ودٌ مرّة في التباذل
فذلك أهل المرء ذاك غَناؤهم ... وليس وإن كانوا حراصاً بطائل
وقال امرؤ منهم أنا الأخ لا ترى ... أخاً لك مثلي عند كرب الزلازل
لدى القبر تلقاني هنالك قاعداً ... أجادل عنك القول رَجْع التجادلِ

(١) «الغائلة»: صفة لخصلة مهلكة.
(٢) «معول»: من العويل: وهو صوت الصدر بالبكاء. «النهاية» (٣/ ٢٢٢).

وأقعد يوم الوزن في الكِفّة التي تكون عليها جاهداً في التثاقلِ
فلا تنسني واعلم مكاني فإنني عليك شفيقٌ ناصحٌ غير خاذلِ
فذلك ما قدّمتَ من كل صالح تلاقيه إن أحسنت يوم التواصل

فبكى رسول الله ﷺ وبكى المسلمون من قوله، وكان عبد الله بن كُرْز لا يمرُّ بطائفة من المسلمين إلا دَعَوْه واستنشدوه، فإذا أنشدهم بكوا. كذا في الكنز (٨/ ١٢٤). وأخرجه أيضاً جعفر الفريابي في كتاب الكُنى له، وابن أبي عاصم في الوحدان، وابن شاهين، وابن مَنده في الصحابة، وابن أبي الدنيا في الكفالة، كلهم من طريق محمد بن عبد العزيز الزهري عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة رضي الله عنها نحوه، كما في الإصابة (٢/ ٣٦٢).

مواعظ أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه

موعظته لرجل

وأخرج الدينوري عن عمر رضي الله عنه: أنه وعظ رجلاً فقال: لا تُلهكَ الناسُ عن نفسك؛ فإنَّ الأمر يصير إليك دونهم، ولا تقطع النهار سارباً، فإنه محفوظٌ عليك ما عَمِلْتَ، وإذا أسأتَ فأحسن، فإني لا أرى شيئاً أشدّ طلباً ولا أسرع دركةً[1] من حَسَنَةٍ حديثةٍ لذنب قديم. كذا في الكنز (٨/ ٢٠٨).

أخرج البيهقي عن عمر رضي الله عنه قال: اعتزلْ ما يؤذيك، وعليك بالخليل الصالح وقلّ ما تجده، وشاورْ في أمرك الذين يخافون الله. كذا في الكنز (٨/ ٢٠٨).

ثماني عشرة حكمة له رضي الله عنه

أخرج الخطيب، وابن عساكر، وابن النجار، عن سعيد بن المسيَّب قال: وضع عمر ابن الخطاب رضي الله عنه للناس ثماني عشرة كلمة، جكَمّ كلُّها. قال: ما عاقبتَ مَنْ عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه، وضَع أمر أخيك على أحسنه حتى يجيئك منه ما يغلبك، ولا تظنَّنّ بكلمة خرجت من مسلم شرّاً وأنتَ تجد لها في الخير محملاً، ومن عرّض نفسه للتهم فلا يلومنّ من أساء به الظن، ومن كتم سرّه كانت الخيرة[2] في يده، وعليك بإخوان الصدق تَعِشْ في أكنافهم؛ فإنهم زينة في الرخاء، وعدّة في البلاء، وعليك بالصدق وإن

(١) «الدرك»: هو اللحاق والوصول إلى الشيء. «النهاية» (٢/ ١١٤).
(٢) «الخيرة»: اختيار ما يريد.